

تفسير البحر المحيط

@ 51 حارثة ، وبنو سلمة . وما تحب أنها لم تنزل لقول ا : { وَاللَّهِ }
وَلَيْدُهُمْ مَا { ، قال ذلك جابر لفرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء ا ، وإنزاله
فيهم آية ناطقة بصحة الولاية ، وأن تلك الهمة المصفوح عنها لكونها ليست عزمًا ، كانت
سببًا لنزولها . وقرأ عبد ا : وا ولهم أعاد الضمير على المعنى لا على لفظ التثنية ،
كقوله : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا } { هَذَا }
خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا } وهذه الجملة لا موضع لها من الإعراب ، بل جاءت مستأنفة لثناء
ا على هاتين الطائفتين . .

{ وَعَلَى اللَّهِ فَلَا يُدْرِكُ اللَّهُ الْوَعْدُ } لما ذكر تعالى ما همت به
الطائفتان من الفشل ، وأخبر تعالى أنه وليهما ، ومَن كان ا وليه فلا يفوض أمره لا إليه
. أمرهم بالتوكل عليه ، وقدم المجرور للاعتناء بمن يتوكل عليه ، أو للاختصاص على مذهب من
يرى ذلك . ونبه على الوصف الذي يقتضي ذلك وهو الإيمان ، لأنَّ مَن آمن با خير أن لا
يكون اتكاله إلا عليه ، ولذلك قال : { وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا } إِنْ كُنْتُمْ
مُّؤْمِنِينَ { وأتى به عامًا لتندرج الطائفتان الهامتان وغيرهم في هذا الأمر ، وأن
متعلقة من قام به الإيمان . وفي هذا الأمر تحريض على التغيبط بما فعلته الطائفتان من
اتباع رسول ا صلى ا عليه وسلم) والمسير معه . .

{ وَلَقَدْ زَكَّرْكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } لمَّا أمرهم بالتوكل
عليه ذكَّرهم بما يوجب التوكل عليه ، وهو ما سنى لهم ويسر من الفتح والنصر يوم بدر ،
وهم في حال قلة وذلة ، إذ كان ذلك النصر ثمرة التوكل عليه والثقة به . والنصر المشار
إليه ببدر بالملائكة ، أو بإلقاء الرعب ، أو بكف الحصى التي رمى بها رسول ا صلى ا
عليه وسلم) ، أو بإرادة ا لقوله : { وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ }
أقوال . .

والجملة من قوله : وأنتم أذلة حال من المفعول في نصركم ، والمعنى : وأنتم أذلة في
أعين غيركم ، إذ كانوا أعزة في أنفسهم ، وكانوا بالنسبة إلى عدوهم ، وجميع الكفار في
أقطار الأرض عند المتأمل مغلوبين . وقال رسول ا صلى ا عليه وسلم) : (اللهم إن تهلك
هذه العصاة لم تعبد) . .

والأذلة : جمع ذليل . وجمع الكثرة ذلان ، فجاء على جمع القلة ليدل أنهم كانوا قليلين .
والذلة التي ظهرت لغيرهم عليهم هي ما كانوا عليه من الضعف وقلة السلاح والمال والمركوب

. خرجوا على النواضح يعتقب النفر على البعير الواحد ، وما كان معهم من الخيل إلا فرس واحد ، ومع عدوهم مائة فرس . وكان عدد المسلمين ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً : سبعة وسبعون من المهاجرين وصاحب رايتهم علي بن أبي طالب ، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار وصاحب رايتهم سعد بن عباد . وقيل : ثلاثمائة وستة عشر رجلاً . وقيل : ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً . وفي رواية : ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً . وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل . وما أحسن قول الشاعر : % (وقائلة ما بال أسوة عاديا % .

تفانت وفيها قلة وخمول .

(% % (تعيرنا أنا قليل عدينا % .

فقلت لها إن الكرام قليل .

(% % (وما ضرنا أنا قليل وجارنا % .

عزيز وجار الأكثرين دليل .

% .)

والنصر ببدر هو المشهور الذي قتل فيه صناديد قريش ، وعلى يوم بدر انبنى الإسلام . وكان يوم الجمعة السابع عشر من رمضان لثمانية عشر شهراً من الهجرة . .

{ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } أمر بالتقوى مطلقاً . وقيل : في

الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وترجيه الشكر إمّا على الأنعام السابق بالنصر يوم

بدر ، أو على الأنعام المرجو أن يقع . فكأنه قيل : لعلكم ينعم عليكم نعمة أخرى

فتشكرونها . وضع الشكر موضع الأنعام لأنه سبب له . .

{ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ